

## المصادر التاريخية لجزيرة العرب في النصوص الجغرافية الإيرانية القديمة

رسول جعفریان

المقدمة:

حبّ الحجاز كان منذ التاريخ الإسلامي حافزاً للمسلمين بجميع طوائفهم وأعرافهم على ترسيم صورة جغرافية لها في أذهانهم، وصار هذا فيما بعد مصباً لمحاولات شتى للتعرف على جغرافية هذه الديار من قبل علماء وباحثين في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

ولم يتخلف الإيرانيون، وبشكل أشمل الناطقون باللغة الفارسية، عن هذا الركب - حيث كانت ولا تزال لغتهم تمثل اللغة الثانية في العالم الإسلامي بعد اللغة العربية - فقد كانت لديهم محاولات في مجالات أدب وتاريخ الحرمين والبلاد التي كانوا يسمونها آنذاك بديار العرب.

والمحفز الوحيد لهذه المحاولات كان العلاقة الدينية والعاطفية مع الحرمين الشريفين، ولهذا كانت كتاباتهم جميعاً في هذا الإطار، أي في الأجواء الدينية والعاطفية للحرمين الشريفين، وهذا الجو أوجد فيهم دافع التعرف على ديار العرب لتمهيد الأرضية لمعرفة الحجاز بنحو خاص في النصوص الجغرافية والتاريخية لدى الإيرانيين.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أمور ثلاثة:

الأول: إن المصنفات الجغرافية في العالم الإسلامي دوّنت تارة على أيدي الإيرانيين، وأخرى على أيدي الساكنين في المنطقة المركزية العربية، وثالثة بيد مؤلفي المغرب الإسلامي.

فمثلاً أبو زيد البلخي (الذي ولد حدود ٢٣٥هـ وكان حياً إلى حوالي ٣٠٨هـ)، وأبو إسحاق الفارسي الإصطخري (الذي ألف كتاب المسالك والممالك حوالي ٣١٨-٣٢١هـ)، وأبو عبدالله الجيهاني، والمؤلف المجهول لكتاب حدود العالم (والذي يحتمل أنه كان من أهالي جوزجان، وألفه حوالي ٣٧٢هـ) كانوا إيرانيين. وأمثال ابن واضح اليعقوبي (مؤلف كتاب البلدان)، وابن حوقل (مؤلف صورة الأرض الذي كتبه في أواسط القرن الرابع)، والمسعودي وقدامة بن جعفر كانوا من المنطقة المركزية العربية، أما المقدسي صاحب الكتاب القيم «أحسن التقاسيم» فقد كان من المغرب الإسلامي.

إذن، كان تطور علم الجغرافية الإسلامي نتاج جمع من الباحثين في أنحاء العالم الإسلامي من الشرق حتى الغرب.

الثاني: إن الآثار الكلاسيكية تبدأ من كتابات البلخي والإصطخري وتنتهي عند الكتاب الثمين (أحسن التقاسيم) للمقدسي الذي هو نتاج عهد طويل من الكتابات الجغرافية، ثم وجدت بعد ذلك صور أخرى لعلم الجغرافيا، لا يمكن عدها من الآثار الكلاسيكية له، ويمكن احتساب التواريخ المحلية - التي يحتوي قسم كبير منها على معلومات جغرافية - ككتاب تاريخ جرجان، وأخبار إصهبان، والتدوين في أخبار قزوين، وغيرها في هذا المضمار، وهكذا الرحلات. وجدير بالذكر أن علم الجغرافيا نشأ من علم المنازل لسير الطرق (البريد أو الحج)، ثم استقل شيئاً فشيئاً.

الثالث: كانت كثير من المصادر الجغرافية القديمة - في التمدن الإسلامي - من

تأليف الإيرانيين، حيث كانوا يؤلفونها بالعربية أو الفارسية، حتى أن بعضها كان بالعربية ثم ترجم إلى الفارسية في تلك الأيام، هذا الامتزاج كان إلى حد بحيث لا يزال غير واضح من الناحية التاريخية هل كان تأليف كتاب المسالك والممالك للإصطخري مثلاً باللغة العربية ثم ترجم إلى الفارسية أو أن الأمر على العكس من ذلك؟<sup>(١)</sup>

ونضيف: إن تدوين بعض النصوص العربية المتعلقة بالحجاز أو بجزيرة العرب تم في إيران، فقد تمت المحافظة على النسخ المهمة لهذه الحقبة التاريخية في مكتبات إيران لقرون عديدة، فعلى سبيل المثال كانت النسخة الوحيدة لكتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة المنسوب إلى الإمام أبي القاسم الحربي من علماء القرن الثالث الهجري موجودة في مكتبة مشهد الرضوية، وقد طبع هذا الكتاب علامة جزيرة العرب الأستاذ حمد الجاسر سنة ١٩٦٩م/١٣٨٩هـ، ويعد هذا الكتاب من أعظم الآثار الجغرافية حول جزيرة العرب وطرق الحج. وأخيراً طبع الكتاب من جديد مع مقدمة عبدالله بن ناصر الوهبي في إنكار نسبة الكتاب إلى الحربي، وذكر أن اسمه كتاب الطريق للقاضي وكيع محمد بن خلق ابن حيان.

وجدير بالذكر أن أبا القاسم الحربي كان منسوباً في الأصل إلى مرو الروذ من بلاد خراسان، حيث هاجر عدد منهم إلى بغداد، فسكنوا في محلة الحربية (باب الحرب)، فكان من ضمنهم هذا العالم الجليل، ولهذا السبب اشتهر بالحربي. وقد أورد في هذا الكتاب قصيدة، يذكر فيها لكل منزل من المنازل الواقعة في مسير الحج من البصرة إلى مكة خمساً<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان بن هاشم، دارالغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧/١٤٠٨: ٢١٦.

(٢) كتاب المناسك، ص ٥٤٥ - ٥٦١.

هذه القصيدة من أقدم الآثار التي تعطي صورة واضحة لطريق الحج من عراق العجم إلى مكة المكرمة، وهذا الطريق كان عامراً لقرون عديدة، وكان حجاج عراق العرب والعجم يسلكونه للتشرف بالحج، وقد أتبع قصيدته هذه بقصيدةٍ أخرى في وصف المنازل الموجودة بين البصرة ومكة .

### محورية مكة في النصوص الجغرافية الكلاسيكية

يقوم كلُّ ما دوّن بالعربية في المصادر الجغرافية الفارسية القديمة حول الحجاز، وخاصة الحرمين الشريفين، على أساس النظرية القائلة: إنَّ مركز الأرض هو الكعبة المعظمة، وهذا الاعتقاد بالمركزية كان معتمداً على معطيات دينية قبل أن تكون جغرافية، كما ورد في بعض الروايات أخبار حول يوم دحو الأرض (٢٥ ذي القعدة الحرام) بوصفه يوم بسط الأرض من تحت الكعبة .

فعلى سبيل المثال، المسالك والممالك لأبي إسحاق إبراهيم الإصطخري - من

مدن فارس - (الذي له نصوص عربية

وفارسية قديمة من القرون الهجرية

الأولى) يبدأ بحثه بـ(ديار العرب). وقد

جاء في وصف ديار العرب ما ترجمته:

«تبركاً وتيمناً نبتدىء بديار

العرب وأطرافها لأن القبلة بها وهي أم القرى، وبذلك الموضع لا يسكن غير

العرب، والأرض خاص بهم، ولا يشاركون فيها أحد»<sup>(١)</sup>.

ويليه وصف جزيرة العرب وأماكنها، ثم يستعرض شرحاً دقيقاً لمكة

وأماكنها التاريخية، ثم يتناول المدينة المنورة ويعطي توضيحات وافية وشفافية

عنها.

(١) المسالك والممالك، ترجمة محمد بن أسعد بن عبدالله التستري، إعداد إيرج أفشار، طهران، ١٤١٤هـ.

وقد جاءت هذه العبارات بتفاوت يسير في أشكال العالم لأبي القاسم بن أحمد الجيهاني<sup>(١)</sup>.

إن أقدم الآثار الجغرافية المدوّنة في العالم الإسلامي - مع التأكيد على علم المنازل والمراحل - هو المسالك والممالك لأبي القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خردادبه (المتوفى ٢٧٢ أو ٣٠٠هـ). وهذا العالم الإيراني - كما ينكشف من اسم جده - من أسرة مجوسية، وقد التحق جده بالدين الإسلامي، وصار مسلماً. والحديث عن الحجاز يأتي في سياق الكلام عن طريق البصرة إلى الحجاز، حيث كان الحجاج يستفيدون منه، فيستعرض المنازل والمراحل المختلفة بين مدن الحجاز، ويقدم توضيحات مفصلة حول الطرق التي كان يستفيد منها الحجاج للتنقل بين أكناف مكة والمدينة<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمور التي ذكرها ما أفاده في مسير هجرة الرسول ﷺ<sup>(٣)</sup>.  
ومن الأمور التي تدلّ على عمق الحبّ والعلاقة الدينية الوافرة بهذه الديار المقدّسة، الاهتمام بتبيين مسير الهجرة النبوية.  
وهكذا إعطاء توضيح حول حدود الحرم.

ويشاهد هذا التوجه أيضاً في كتاب صورة الأرض لابن حوقل، الذي كان مؤلفاً عربياً، ويبدو أنه كان من أهل النصيبين، وقد أهدى كتابه إلى سيف الدولة

(١) أشكال العالم، إعداد: فيروز المنصوري، طهران، به نشر، ١٤٠٨.

(٢) المسالك والممالك، طبعة ليدن وأفسيت مكتبة المثنى ببغداد: ١٣٠ - ١٣٤.

(٣) المسالك والممالك، ابن خردادبه: ١٢٩ - ١٣٠.

وكذلك انظر: الخراج لقدامة بن جعفر (المطبوع مع المسالك والممالك): ١٨٧ - ١٩٢؛ فإن قدامة بن جعفر يشرع أولاً في هذا الكتاب - نظراً لأهمية مكة - وقبل أن يذكر الطرق - بالحديث عن طرق مكة والمدن الأخرى، ثم يبدأ البحث عن بغداد، وبهذا الترتيب يصرّح بأهمية هذا الأمر. ويقول قدامة بن جعفر (ص ١٩٣): وإذ قد ذكرنا الطريق إلى مكة من كلّ جهة، وأتبعنا ذلك بالطريق إلى أكناف الجنوب مثل اليمن، وما يتصل بها من اليمامة وعمار البحرين... فلنتبع ذلك بالطريق إلى ما ينحرف إليه تلك الجهات من نواحي المشرق... ولنبدأ بمدينة السلام.

الحمداني (٥٣٥٦هـ). فقد بدأ كتابه بديار العرب، ويستدل على ذلك: «لأنَّ القبلة بها ومكة فيها، وهي أمُّ القرى، وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناهم غيرهم»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن حوقل في مقدمة كتابه:

«وقد فصلت بلاد الإسلام إقليماً إقليماً، وصُقْعاً صُقْعاً، وكورة كورة، لكل عمل، وبدأت بذكر ديار العرب، فجعلتها إقليماً واحداً، لأنَّ الكعبة فيها، ومكة أم القرى، وهي واسطة هذه الأقاليم عندي»<sup>(٢)</sup>.

وعبارته الأخيرة: (وهي واسطة هذه الأقاليم عندي) تكشف عن رؤية دينية حاكمة على فكره الجغرافي.

فإنه بعد أن بدأ كتابه بالبحث عن ديار العرب يؤكد ثانية: «وأنا مبتدئ من ديار العرب بذكر مكة»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا المؤلف المجهول لكتاب حدود العالم، الذي ألف كتابه بالفارسية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فقد خصَّص فصلاً في وسط الكتاب لديار العرب.

يقول عن مكة:

«مكة، مدينة كبيرة وعامرة، ونفوسها كبيرة وعلى سفح الجبل وتحوطها الجبال، وهي من أشرف المدن، لأنَّ بها مولد النبي ﷺ والكعبة»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك الحال مع مؤلف كتاب مجمل التواريخ والقصص، والذي ألفه حوالي سنة ٥٢٠هـ، فقد بدأ - بعد أن عدَّ جزيرة العرب من الإقليم الثاني بعد مشاركة الأقاليم السبعة - بدأ البحث عن مكة، وقال:

(١) صورة الأرض، (ليدن، ١٩٣٨): ١٨.

(٢) المصدر نفسه: ٥-٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢٨.

(٤) حدود العالم، تحقيق منوچهر ستوده، طهران، ١٣٤٠: ١٦٥.

« كانت مكة أول بناء في العالم، وهي من أعظم المدن وأعلاها رتبة، ولا يكون فيها الطاعون، وأكثر العجائب في الإسلام في البيت المقدس». ثم تحت عنوان: (بيت الله الكعبة) يعطي شرحاً عن مكة المكرمة وأساميها، والكعبة، وتاريخ المسجد الحرام، ويتبعها برسم صورة عنه، ثم يعطي شرحاً عن المدينة المنورة، ويتناول بعد ذلك البيت المقدس<sup>(١)</sup>.

#### أبو سعد الخركوشي ومدينتي مكة والمدينة في القرن الخامس

كتاب شرف النبي أو شرف المصطفى ﷺ لأبي سعد الخركوشي المتوفى ٤٠٦ هـ، والمنسوب إلى محلة خرگوش بمدينة نيشابور، كان من علماء السنّة الكبار بخراسان في القرن الرابع، وهذا الكتاب باللغة العربية، وقد طبع في الآونة الأخيرة مع تعليقات كثيرة في ستة مجلدات<sup>(٢)</sup>.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية نجم الدين محمود الراوندي في القرن السادس الهجري، لكنه يحتوي - وعلى الرغم من أنه كتاب سيرة نبوية ومؤلف على طريقة كتب دلائل النبوة - يحتوي شرحاً دقيقاً عن مكة، والمسجد الحرام، والكعبة، وأماكن مقدسة أخرى.

وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً تحت عنوان: «مناحل الشفاء ومناهل الصفاء بتحقيق كتاب شرف المصطفى ﷺ» مع تصحيحات وتعليقات وافرة للسيد أبي عاصم نبيل هاشم الغمري آل باعلوي، في ستة مجلدات، نشرتها دار البشائر عام ١٤٢٤ هـ، وما يتعلق بمكة والمدينة يقع في المجلد الثاني، ص ١٩٩ - ٤٨٣.

وقد جاء ما يتعلق بمكة والمدينة في الترجمة الفارسية القديمة لهذا الكتاب من باب ٣٥ (ذكر فضيلة مكة) ص ٣٦٩ إلى باب ٥٠ (وصول النبي إلى مسجد قبا)

(١) مجمل التواريخ والقصص، تصحيح سيف الدين نجم آبادي، زيفريد فيبر، ألمانيا، ٢٠٠٠: ٣٧١-٣٧٤.

(٢) للوقوف على ترجمته انظر: يادگار طاهر، مجموعة مقالات الدكتور أحمد طاهري عراقي، طهران، مركز النشر الجامعي، ١٤٢٣: ٣٠-٥٧.

ص ٣٦٩ - ٤٧٧، مع حذف العناوين الفرعية .

ولكن مع الأسف لا المصحح الفارسي كانت مجوزته النسخة العربية، ولا المصحح العربي التفت إلى النسخة الفارسية، حتى يشير إلى التفاوت بين النصين . وبغض النظر عن الأحاديث الواردة في هذا الباب، هناك توضيحات تاريخية وجغرافية ملفتة للنظر حول الحرمين، وكثير منها يحتوي مواضيع هامة ودقيقة حول الأماكن المقدسة، وفي الأغلب هو تلخيص أو نفس مطالب كتاب أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي .

يقول الخرگوشي في ذيل الإشارة إلى مقام إبراهيم :

«قال أبو سعد عبد الملك بن محمد صاحب الكتاب - أعانه الله على طاعته - : سألت الزمزمة حتى أتوا إليّ بماء زمزم، ثم سألت بني شيبه أن يكشفوا لي عن المقام، فكشفوا في البيت، وسكبوا الماء موضع القدم، ثم شربت تبرّكاً بذلك، ورأيت أثر قدمي إبراهيم ﷺ مغموساً فيه، وأصابع إحدى رجليه عند عقب الأخرى . وكان في ذلك الوقت، المقام في البيت، وهذا دأبهم في الموسم، يخفون المقام في مصعد السطح في البيت، وذلك أنه حمل المقام مرّة، فلما ردّ الله تعالى عليهم ذلك احتاطوا في ذلك الحفظ»<sup>(١)</sup> .

واحتمال كون المؤلف اشتبه بين المقام والحجر الأسود وارد، حيث يبدو أن مقصوده الإشارة إلى الحادثة التي حصلت للحجر الأسود على يد القرامطة .

### ناصر خسرو والحجاز

ومن الآثار الغنيّة بالمعلومات حول الحج والحجاز، خاصّة الحرمين الشريفين، رحلة ناصر خسرو القبادياني، العالم الإيراني الكبير في القرن الخامس، الذي سافر إلى الحج في جمادى الثانية من سنة ٤٣٧هـ (مارس ١٠٤٦م)،

(١) شرف المصطفى ﷺ ٢: ٢٤٣ - ٢٤٤ .



وأدّى الأعمال في سنة ٤٣٨هـ، ثم سافر ثلاث سفرات أخرى إلى مكة في أعوام ٤٣٩هـ و ٤٤٠هـ و ٤٤٢هـ.

ففي السفرات الثلاث الأول كان يأتي عن طريق البحر الأحمر إلى مرفأ الجار، ثم يذهب من هناك إلى المدينة، ثم إلى مكة. وفي السفر الرابع أتى عن طريق النيل إلى أسوان، ومن هناك إلى البحر الأحمر، ومن ثم ذهب عن طريق جدة إلى مكة<sup>(١)</sup>. وفي سفره هذا ذهب إلى الطائف والأحساء، فشاهد سيطرة القرامطة على البلاد، ثم ذهب إلى البصرة، ومنها إلى إصفهان، ثم إلى خراسان.

ورحلة ناصر خسرو هذه التي طالت ست سنوات من حين خروجه من خراسان سنة ٤٣٧هـ إلى حين رجوعه في سنة ٤٤٣هـ، حيث حجّ فيها أربع مرات، تدل على أهمية مكة والكعبة لديه، وتكشف عن منزلة هذه المدينة المقدّسة لدى مسلم شيعي إيراني فيلسوف وشاعر.

وقد شرح الحرمين وسفر الحج في سفره الرابع، وفي السفر الأوّل أشار فقط إلى أن المطالب المتعلّقة بالحج سيذكرها فيما بعد: «لم أشرح مكة والحج هنا، حتى أشرح ذلك في الحج الأخير»<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب: ٢٨٥.

(٢) سفرنامه ناصر خسرو، طهران، منوچهری: ٤٩.

ورحلة ناصر خسرو لها أهمية قصوى من الناحية الجغرافية<sup>(١)</sup>. وتعتبر من المصادر المهمة. وفي الواقع فإن المعلومات المعروضة في هذا الكتاب تشبه كتب الجغرافيا قبل أن تكون شبيهة بالرحلات.

فعندما يصل إلى مكة في سفره الرابع يبدأ بوصف مكة، وهو وصف جميل جداً، وجدير بالقراءة، فإن فيه ما يختلف كثيراً عما ورد في سائر الآثار، من حيث توصيفه للمدينة توصيفاً دقيقاً، واشتماله على الجزئيات لما شاهده بعينه.

ويجوي هذا الوصف عدة أقسام:

الأول: وصف مكة المكرمة (ص ٩٧ - ١٠١)

الثاني: وصف أرض العرب واليمن (١٠١ - ١٠٣)

الثالث: وصف المسجد الحرام والكعبة (١٠٣ - ١٠٧)

الرابع: وصف باب الكعبة (١٠٧ - ١٠٨)

الخامس: وصف داخل الكعبة (١٠٨ - ١١٢)

السادس: وصف آداب فتح باب الكعبة شرفها الله تعالى (١١٢ - ١١٤)

السابع: عمرة الجعرانة (١١٤)

ثم يتحدث عن مسافة الطرق، الأمر الذي يعرف في كتب الجغرافيا بعلم المنازل، ثم يشرح سفره، وتزداد أهمية رحلته بشكل كبير نظراً لمروره على مناطق جزيرة العرب.

وأما حديثه عن المدينة المنورة فقد سبق المطالب السالفة.

وقد أشرنا سابقاً إلى أنه - في أسفاره الثلاثة الأولى - كان يأتي من المدينة إلى مكة، وفي إحدى هذه الأسفار يعطي شرحاً عن المدينة المنورة. (٨٣ - ٨٤). وقد كان فترة إقامته في المدينة يومين، ولهذا السبب كانت المعلومات التي يقدمها نزيرة

(١) تاريخ الأدب الجغرافي: ٢٨٦.

جداً، ويقول في سبب ذلك: إن الوقت كان ضيقاً فكنت مضطراً إلى مغادرة المدينة لإدراك الحج<sup>(١)</sup>. وهناك يشير إلى مسائل الحج ومكة .  
وعلى العموم، أغنى فصل في رحلة ناصر خسرو، هو الفصل الذي يُعطي فيه معلومات عن الحرمين الشريفين .

### الزمخشري وجزيرة العرب

أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري، مفسر معتزلي وأديب خوارزم المعروف (٥٣٨هـ)، كان مشهوراً بتفسير القرآن الكريم، وكتابه «الكشاف» له شهرة كبيرة في العالم الإسلامي، مضافاً إلى أنه ممن يشار إليه في العربية واللغة . ويشتهر الزمخشري بجماله؛ لإقامته بمكة المكرمة مدةً طويلة، وقد كانت لديه صداقة مع شريف مكة أبي الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن سليمان الحسني، وكانت ثمار هذه الصداقة تأليف كتاب في الجغرافيا بترتيب ألفبائي على غرار كتاب معجم ما استعجم للبكري، بعنوان: الجبال والأمكنة والمياه .  
وحيث إنه كتب ذلك في مكة فقد قدّم تصنيفه ذلك إلى شريف مكة، وقد استفاد من معلومات الشريف كشواهد على ما أورده في الكتاب، وعمدة ما فيه حول الأمكنة وجبال جزيرة العرب .

والمدخل الأول لهذا الكتاب هو أبوقبيس الذي قال فيه الزمخشري :  
«الجبل المشرف على الصفا، يسمى برجل من مذبح كان يكنى بأبي قبيس، لأنه أول من بنى فيه، وكان يسمّى في الجاهلية الأمين، لأنّ الركن مستودع فيه عام الطوفان، وهو الأخشبين»<sup>(٢)</sup>.

وقال في ذيل عنوان الجعرانة:

«الجعرانة هكذا بسكون العين وخفة الراء، آبار مقتربة، منها أحرم

(١) سفرنامه ناصر خسرو: ٨٤.

(٢) الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم، نجف: ٧.

رسول الله ﷺ، وفيها مسجد لرسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وأغلب الأماكن التي عرّفها هذا الكتاب، وربما أكثر من ثمانين بالمئة منها، يتعلق بالمناطق العربية، وكما أشرنا، فقد استشهد في بعض الموارد بجملات من الشريف الذي كان صديقاً له، فعلى سبيل المثال يقول حول العمق:

«قال علي: العمق عين بوادي الفرع، والعمق أيضاً واد في آخر يسيل في وادي الفرع يسمى عمقين، وفيه عين لقبيلة من ولد الحسين بن علي عليه السلام، وفي ذلك تقول امرأة منهم جلت من بلدها إلى ديار مصر...»<sup>(٢)</sup>.

وفي ذيل عنوان القبيلة وأنها محلة بين المدينة وينبع، يبدأ بتعداد الوديان في تلك الناحية، ومنها تيتد، ويقول الزمخشري هناك:

«وتيتد وهو المعروف بأذينة، وفيه عرص فيه النخل من صدق رسول الله ﷺ نحلها فاطمة عليها السلام»<sup>(٣)</sup>.

### حافظ أبرو وديار العرب

شهاب الدين عبدالله الخوافي المشهور بحافظ أبرو (٨٣٣هـ)، من أبرز المتخصصين في علم الجغرافيا في العالم الإسلامي، وهو منسوب إلى مدينة خواف في خراسان.

له آثار متعددة، منها مصنف كبير في الجغرافيا باللغة الفارسية، وقد نشر مؤخراً في ثلاثة مجلدات في طهران.

وقد قدّم في شرحه لجغرافيا العالم أولاً توضيحات علمية حول أنواع التقسيمات الموجودة لدى خبراء الجغرافيا، ثم أعطى شرحاً عن البحار والجبال، ذاكراً ضمن الجبال بعض جبال مكة.

(١) المصدر نفسه: ٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ١١٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٤.

مثلاً ذيل جبل حراء يقول :

«جبل بمكة على جانب الشمال الغربي، وهذا الجبل معروف، ويدعى جبل محمد ﷺ أيضاً».

ويقول عن جبل ثبير :

«جبل يمكن رؤيته من منى ومزدلفة، وقريب من الطريق الذي يذهب من خراسان».

ويقول حول جبل أبي قبيس :

«جبل على شرقي الكعبة، ويقع الصفا عليه»<sup>(١)</sup>.

وعندما يبدأ البحث عن المناطق الجغرافية للعالم يأتي ببحث ديار العرب أولاً، ويقول في توجيه ذلك :

«وابتدأنا بديار العرب، فإنّ القبلة هناك، وهي أم القرى، ولا يشاركهم فيها غيرهم، وفي أرض العرب لا بحر ولا نهر كي تعمل عليه السفينة... وأرض العرب تشبه الجزيرة، وأنّ أكثر ما يحوطه هو البحر... وفي أرض العرب تعيش في كل ناحية قبيلة، ويقطن نواحي مكة من الجانب الشرقي بنو هلال وبنو سعد وبنو هذيل، ومن الجانب الغربي قبائل مضر، وفي مركز مكة والمدينة بنو بكر بن وائل، وبعض هذه القبائل في حدود الطائف، ويقطن في بادية البصرة إلى البحرين واليمامة بنو تميم... وأكثر أرض العرب شرقها الخليج الفارسي، وغربها خليج القلزم، وجنوبها البحر المحيط حيث تفرع منها تلك الخليجات»<sup>(٢)</sup>.

ثم يبدأ بوصف مكة المكرمة فيقول :

«ومكة من الإقليم الثاني... صاحب مكة من الشرفاء ويكتبون لقبه السلطان، وتحاصرها الجبال من أطراف ثلاثة، ومفتوح من طرف واحد، جوّها

(١) جغرافياي حافظ أبرو، تصحيح صادق سجادي، طهران، ميراث مكتوب، ١٤١٨: ١٨٣.

(٢) جغرافياي حافظ أبرو: ١٩٩-٢٠١.

في غاية الحرارة في الصيف، وأقرب الجبال المرتفعة إليها أبوقبيس، وهو جبل كالبقة في الناحية الشرقية من مكة، وعلى رأس جبل أبوقبيس ميل... وبنيت في مكة مباني جيدة كثيرة، ولكن أكثرها خربت... وقد جعل المسجد الحرام في مركز مكة، وتقع الكعبة في مركز المسجد الحرام، وجميع المساكن والأسواق تقع حول المسجد»<sup>(١)</sup>.

ثم يتحدث عن وصف المسجد الحرام، ويعطي أوصافاً دقيقة لأجزاء مختلفة من أحجامة وقياساته، ومن المحتمل أنه استعان في ذلك بمصنّفات أخرى في هذا المضمار<sup>(٢)</sup>.

**العصر الذهبي في هذا المضمار كان** وتحدث في الفصل الذي يليه عن  
**القرن الثالث عشر والرابع عشر** مناسك الحج<sup>(٣)</sup>، ثم تحدث عن صفة  
**الهجري، حيث صنّف الحجاج** داخل الكعبة<sup>(٤)</sup>، وكتب في هذا الموضوع  
**الإيرانيون أكثر من مائة رحلة حجية،** أنه رسم خريطة لمكة<sup>(٥)</sup>، ولكن مع  
**وكثير منها تحتوي على معلومات** الأسف - كما نبه على ذلك المصحح - لا  
**جغرافية قيمة حول الحرمين الشريفين** يوجد في المخطوطة أثر من ذلك.

وبحثه اللاحق حول المدينة المنورة<sup>(٦)</sup>، وكان قد رسم لها خريطة فقدت أيضاً.  
ومن كلامه حول المدينة:

«والمدينة نسبة إلى مكة طقسها لطيف، وحاكمها من الشرفاء، ويقال له:

السلطان»<sup>(٧)</sup>.

(١) المصدر نفسه: ٢٠١-٣٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٣-٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٧-٢١٠.

(٥) المصدر نفسه: ٢١١.

(٦) المصدر نفسه: ٢١١-٢١٢.

(٧) المصدر نفسه: ٢١٢.

ثم يتحدث عن اليمامة والمجار وجدة وطائف وحجر وتبوك، ويعطي شرحاً قصيراً لكثير من الأماكن المعروفة في ديار العرب<sup>(١)</sup>، وهذه النقاط عبارة عن: بطن مر، الجحفة، الجبلية، الخيبر، ينبع، عرض، عشيرة، جبل رضوى، فرع، مدينة الجندل، ودان، تما، تهامة، زبيد، صنعا، صعدة، ظفار، شبام، عدن، نجران، حضرموت، عمان، اليمن، البحرين.

وفي الختام، يختصّ فصلاً تحت عنوان: ذكر مسافات ديار العرب، يتطرق فيه إلى الفواصل بين المناطق والمدن، خاصة طرق الحج<sup>(٢)</sup>.

وإذا ما اقتربنا من الزمان الحاضر، نجد مصادر جديدة في أدب الرحلة الإيراني، لها أهمية قصوى في معرفة ديار العرب وخاصةً الحجاز وطرق الحج، لم يلتفت إليها أحد من مؤرخي الجزيرة العربية أخيراً، مع أهميتها واحتوائها على مواد كثيرة حول تاريخ الحرمين والأماكن المقدسة وطرق الحج.

وفي الواقع، العصر الذهبي في هذا المضمار كان القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، حيث صنّف الحجاج الإيرانيون أكثر من مائة رحلة حجية، وكثير منها يحتوي على معلومات جغرافية قيمة حول الحرمين الشريفين، وكثير من الأمور الأخرى حول القرى والبلدان الواقعة في طريق الحج.

وفي هذا المجال لا بد أن نشير - على سبيل المثال - إلى رسالة الوجيزة في تعريف المدينة لميرزا محمد المهندس، والتي كتبها عام ١٢٩٢م<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه: ٢١٢-٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣١-٢٣٣.

(٣) تصحيح مؤلف هذه السطور المطبوع ضمن كتاب «بسوي أم القرى»، طهران، نشر مشعر، ١٣٧٣.